بُرْهانُ البَوْن

عبدالله محمد الموسى

بُرْهانُ البَوْن

برهان البون

عبدالله محمد الموسى

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على محمد وآل محمد
وعجل فرجهم والعن أعدائهم

اسم الكتاب: برهان البون

الكاتب: عبدالله محمد الموسى

اعداد:

تاريخ الكتابة بالهجري: ٠٠/٠٠/١٤٠٠هـ

تاريخ الكتابة بالميلادي: ٠٠/٠٠/٢٠٠٠م

رقم الطبعة: ١

قياس الورق:

عدد الصفحات: ٠٠

الموقع الإلكتروني: شبكة يا مهدي

البريد الإلكتروني: bo_kassem212@hotmal.com

رقم الجوال: ٠٠٩٦٦٥٦٧١١٥٤٧٧

برهان البَون

المقدمة

تعريف البرهان

معنى البَون

صياغة برهان البَون

أمثلة لبرهان البَون

البَون من القرآن الكريم

البَون من الروايات الشريفة والأخبار

ثمرة برهان البَون

خاتمة

الفهرس

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأزكى التسليم على النبي الأمجد والرسول المسدد والعبد المؤيد حبيب إله العالمين المحمود الأحمد أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الأطيبين الطاهرين الأطهرين الذي أذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً واللعن الدائم والعذاب الأليم على أعدائهم ومنكريهم ومنكري فضائلهم من الآن إلى قيام يوم الدين .. وبعد

يعيش الإنسان في هذه الحياة متدينا بدين الله تعالى مخاطَبا بالأحكام ومطلوبا بالالتزام بالحلال والحرام والاستحباب والكراهة والإباحة ومن المحال أن يخلو أمره من هذه الأحكام الخمسة وبما أن الإنسان المؤمن معتقدٌ بوجود الله تعالى مؤمن به وبعدله وأنه لا ظلم في ساحته ومؤمن برسوله الكريم صلى الله عليه وآله ومؤمن بالأوصياء من بعده عليهم السلام وبالمَعاد الجسماني ومؤمن بالفروع من الأحكام كالصلاة والصيام والحج والخُمس وغيرها كل ذلك كان يأخذ دينه في العقائد والأحكام الشرعية والمعارف من خاتم الأنبياء والرسل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله ومن بعد رحلته صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى كان المؤمن يأخذ دينه من سيد الأوصياء أمير المؤمنين عليه السلام ومن بعده

من الإمام الحسن عليه السلام ومن بعده من الإمام الحسين عليه السلام وهكذا كان الأمر مع سائر الأئمة المعصومين عليهم السلام إلى زمن الإمام الزكي الحسن العسكري إلى أن أتى زمن خاتم الأوصياء صاحب الأمر الإمام الحجة عليه السلام وعَجَّل الله تعالى فَرَجَه الشريف فغاب عن الناس غيبة صغرى دامت بما يقرب من السبعين سنة فكان المؤمنون يأخذون دينهم منه عليه السلام عن طريق السفراء الأربعة رضوان الله تعالى عليهم والذين هم الشيخ عثمان بن سعيد العمري ثم من بعده ابنه الشيخ محمد بن عثمان بن سعيد العمري ثم من بعده الشيخ الحسين بن روح النوبختي ثم من بعده الشيخ علي بن محمد السمري وكان هو آخر السفراء والنواب الخواص الأربعة وبموته بدأت الغيبة الكبرى فإنا لله وإنا إليه راجعون، وفي زمن الغيبة الكبرى كان المؤمنون يأخذون دينهم من الفقهاء العظام الكبار المأمونين على الدين والدنيا وهم نواب الإمام عليه السلام بالنيابة العامة وبهذا الطريق والذي هو أخذ الدين من المراجع الفقهاء العظام الذين شهد بعلمهم وأعلميتهم وورعهم وتقواهم في مقام الاستنباط أهلُ الخبرة من أهل الاختصاص يكون عمل المؤمن مبرئاً للذمة، إلا أن المؤمن لابد وأن يبتلى بل وأن يمر بمراحل من البلاء والمحن (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ) [1]

(١) سورة الملك آية ٢.

وبما أن المؤمن مبتلى وأعظم بلاء على المؤمن غيبة إمامه عليه السلام عنه وبطبيعة الأمور وفي كل مصر وعصر تشتبه الأمور وتلتبس الأفكار وفي آخر الزمان تزداد الشبهات ونواب الإمام عليه السلام بالنيابة العامة قائمون مدافعون عن الدين ورادون للشبهات ومرابطون في الثغور إلا أن ذلك لا يعني أن المؤمن لا يبتلى أو أنه لا يمكنه فعل شيء أو رفع اشتباه ولبس، وأنه يلقي بكل أعباء الفتن والشبهات على عاتق المرجعية وليس عليه شيء.

ومن هذا المنطلق احتاج المؤمن إلى أن يكون – مع التمسك بالمرجعية الحقة – محصناً بالبرهان والدليل تحصناً ذاتيا ليكون إيمانه نابعاً من القرآن ويكون فكره تابعاً للبرهان ومتسلحاً بسلاح العلم ومقيداً بقيد الفقه والإيمان فحريٌ به إن لم يكن من أهل العلم أن يكون محصلاً لدورة عقدية كاملة بحيث تكون هذه الدورة مثبتة لقدمه أمام عواصف الفتن وأعاصير الشبهات وكذلك الكلام في دورة فقهية ودورة أخلاقية.

ومما رأينا في زماننا هذا الذي كثرت فيه الشبهات والفتن والادعاءات أن يكون المؤمن ملتفتاً إلى البراهين والأدلة التي تنفعه في التفكير السليم والمنطق العقلي الصحيح كبرهان استحالة اجتماع النقيضين وبرهان استحالة اجتماع الضدين وهذان البرهانان هما من أهم البراهين بل هما أس أساس الأدلة والبراهين لا سيما برهان استحالة اجتماع النقيضين فلا يثبت أي دليل ولا برهان إلا بالسكون والخضوع إلى مسلمات برهان استحالة اجتماع النقيضين فكل الأدلة ترجع إليه نتيجةَ، وإني لاحظتُ في زماننا هذا الكثير من اختلاط الأوراق في الأفكار رغم بدهيتها وبساطتها فالكثير من الناس تطوفه هذه المخالطات والمغالطات رغم أنها في غاية

البساطة والسهولة فوصل بنا الأمر أن لا يفرق الإنسان بين أعلى الأمور وأسفلها وبين أعظم الأمور و أحقرها وإني أقولها متأسفاً وصل الأمر بنا أن لا يُفرق بين أعلى المراتب الدينية وأدناها فمثلاً وصل بنا الأمر إلى أن لا يُفرَّق بين المرجع الديني وبين من يدعي المرجعية وهو لا يستحق ذلك أو غير طالب للعلم أصلاً ولا يفرَّق بين أهل الخبرة والاختصاص من غيرهم رغم وجود البَون أو البَون الشاسع بينهما.

فمن هنا ومن هذا المنطلق وليعذرني القارئ الكريم اضطررنا لكتابة هذه السطور باسم (برهان البَون) رغم بساطة الأمر فيه وهو من الحقائق القرآنية والروائية وهو من نُطق الفطرة ومن طبيعة الأمور إلا أني رأيت الكثير لم يكن ملتفتاً إلى برهان البَون فكراً أو أنه ملتفتٌ فكراً وغير ملتفت إليه عملاً فكتبتُ هذه السطور بيانا للحجة والاحتجاج ونوراً للذكرى والتذكر راجياً من الله تعالى قبول هذا الأمر ومن رسول الله وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين، وأن يتقبله القارئ الكريم بسَعة صدر ورحابة خُلُق.

وإني ما كتبتُه لأجل فرد أو مصداق معين والله تعالى العالم من وراء ذلك وإنما كتبته نورا للمتنورين (اَللّـهُمَّ اِنّي اَسْاَلُكَ اَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّد نَبِيّ رَحْمَتِكَ وَكَلِمَةِ نُورِكَ، وَاَنْ تَمْلأ قَلْبى نُورَ الْيَقينِ وَصَدْري نوُرَ الأيمانِ وَفِكْري نُورَ النِّيّاتِ، وَعَزْمي نُورَ الْعِلْمِ، وَقُوَّتي نُورَ الْعَمَلِ، وَلِساني نُورَ الصِّدْقِ، وَديني نُورَ الْبَصائِرِ مِنْ عِنْدِكَ، وَبَصَري نُورَ الضِّياءِ، وَسَمْعي نُورَ الْحِكْمَةِ،

وَمَوَدَّتي نُورَ الْمُوالاةِ لِمُحَمَّد وَآلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ حَتّى اَلْقاكَ وَقَدْ وَفَيْتُ بِعَهْدِكَ وَميثاقِكَ فَتُغَشّيَنى رَحْمَتَكَ يا وَلِيُّ يا حَميدُ)[1]

(١) مفاتيح الجنان، من بداية الدعاء الذي يلي زيارة آل يس.

تعريف البرهان

إن البرهان هو الدليل أي بيان الحجة الموصلة إلى الحق والحقيقة، والدليل يختلف عن القرينة، فالقرينة هي الموصلة إلى الدليل فبقرينةٍ أو قرينتين أو ثلاث أو أكثر نصل إلى الدليل، فبعدما عرفنا القرينة نأتي إلى معنى الدليل والبرهان.

إن الدليل والبرهان هو بيان الحجة الموصلة بنفسها لا بغيرها إلى الحق والحقيقة. فبقيد (بنفسها) في التعريف أخرجنا القرينة فالقرينة توصل إلى الدليل والبرهان ولا توصل إلى الحق والحقيقة وسواء كان هذا الإيصال بنفسها أو بضم غيرها من القرائن إليها، وأما الدليل والبرهان فهو الحجة الموصلة بنفسها إلى الحق والحقيقة.

* ولكلمة البرهان إطلاقان:

الإطلاق الأول: بالمعنى المختص كما قلنا هو بيان الحجة الموصلة بنفسها لا بغيرها إلى الحق والحقيقة.

الإطلاق الثاني: بالمعنى المنقول كما يعبر بذلك أهل المنطق بمعنى أن للبرهان معنى معروف وهو ما ذكرناه سابقاً إلا أن هذا اللفظ انتقل من معنى إلى معنى آخر مثل معنى الصلاة كان هو الدعاء إلا أن معناه قد انتقل من الدعاء إلى هذه الأفعال والأذكار المعروفة في أوقات خاصة بكيفية خاصة وكذلك الحج فإن معناه القصد ولكن المعنى انتقل من القصد إلى هذه النسك والمناسك المعروفة من طواف وسعي ومبيت ورمي ... في أماكن خاصة وأوقات خاصة، وكذلك

معنى برهان انتقل من بيان الحجة الموصلة بنفسها لا بغيرها إلى الحق والحقيقة، إلى برهان لبيان الحجة الموصلة بنفسها لا بغيرها إلى الحق والحقيقية عن طريق مقدمات ونتائج أو كما يعبر أهل المنطق أن يتكون البرهان من كبرى وصغرى ونتيجة.

ولكي يتضح ذلك أكثر نضرب أمثلة على لفظ البرهان بالمعنى المختص وأمثلة على لفظ البرهان بالمعنى المنقول.

* أما الأمثلة التي هي بالمعنى المختص للبرهان أو المعنى اللغوي من القرآن الكريم ومن الأخبار والروايات الشريفة ومن اللغة العربية:

* أما من القرآن الكريم:

فقوله تعالى (قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ).[1]

وقوله تعالى (قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ هذا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ).[2]

وقوله تعالى (قَدْ جاءَكُمْ بُرْهانٌ مِنْ رَبِّكُمْ).[3]

فإن لفظ البرهان في هذه الآيات الثلاث هو بمعنى بيان الحجة ومن المعلوم بالضرورة أن الله تعالى لا يطالِب المُطالَب هنا بإقامة المقدمات والنتائج المعروفة في علم المنطق اليوم ولم يطالبهم بكبرى ولا بصغرى ولا نتيجة وإنما يطالبهم بمحض الدليل المطلق أو البرهان المطلق.

---

(١) سورة البقرة آية ١١١.

(٢) سورة الأنبياء آية ٢٤.

(٣) سورة النساء آية ١٧٤.

*** أما من الروايات الشريفة:**

فقول الإمام العظيم علي بن محمد النقي الهادي عليه السلام في الزيارة الجامعة الكبيرة "وَخَصَّكُمْ بِبُرْهانِهِ" أو قوله "وَنُورُهُ وَبُرْهانُهُ عِنْدَكُمْ" فالبرهان هنا هو بمعنى بيان الحجة أو أعم من ذلك كأن يكون البرهان بالتسديد والتأييد والتمكين وغير ذلك إلا أنه غير البرهان المنطقي.

*** وأما من اللغة العربية:**

فننقل ما قال الراغب الاصفهاني في المفردات في مادة (بره) حيث قال:

بره:

البُرْهَان: بيان للحجة، وهو فعلان مثل:

الرّجحان والثنيان، وقال بعضهم: هو مصدر بَرِه يَبْرَه: إذا ابيضّ، ورجل أَبْرَه وامرأة بَرْهَاءُ، وقوم بُرْه، وبَرَهْرَهَة: شابة بيضاء.

والبُرْهَة: مدة من الزمان، فالبُرْهَان أوكد الأدلَّة، وهو الذي يقتضي الصدق أبدا لا محالة، وذلك أنّ الأدلة خمسة أضرُب:

- دلالة تقتضي الصدق أبدا.

- ودلالة تقتضي الكذب أبدا.

- ودلالة إلى الصدق أقرب.

- ودلالة إلى الكذب أقرب.

- ودلالة هي إليهما سواء. [١]

والكلام في اللغة العربية هو نفس الكلام في الآيات الكريمة والروايات الشريفة من أن المقصود بالبرهان هو البرهان بالمعنى اللغوي لا المعنى المنطقي.

*** أمثلة على لفظ البرهان بالمعنى المنقول أو المعنى المنطقي.**

وقد عرَّف العلامة الشيخ محمد رضا المظفر رحمه الله تعالى البرهان بقوله:

وقد عرفوه – أي البرهان – بأنه: " قياس مؤلف من يقينيات ينتج يقينا بالذات اضطرارا " وهو نعم التعريف! سهل واضح مختصر. [٢]

---

(١) المفردات، للراغب الاصفهاني.

(٢) المنطق؛ العلامة الشيخ محمد رضا المظفر؛ باب صناعة البرهان صفحة ٣٦٠.

وكذلك عرفه العلامة السعيد الشهيد آية الله السيد محمد تقي الجلالي رحمه الله تعالى في كتابه، بنفس التعريف كذلك. [1]

* الفرق بين البرهان والدليل

لكي يتضح لنا الفرق بين البرهان والدليل لابد من معرفة موضوع النسب الأربع في علم المنطق:

النسب الأربع:

١- نسبة التساوي: وتكون بين المفهومين اللذين يشتركان في تمام أفرادهما، كالإنسان والضاحك، فإن كل إنسان ضاحك وكل ضاحك إنسان.

٢- نسبة العموم والخصوص مطلقا: وتكون بين المفهومين اللذين يصدق أحدهما على جميع ما يصدق عليه الآخر وعلى غيره، ويقال للأول: "الأعم مطلقا" وللثاني "الأخص مطلقا" كالحيوان والإنسان، والمعدن والفضة، فكل ما صدق عليه الإنسان يصدق عليه الحيوان، ولا عكس، فإنه يصدق الحيوان بدون الإنسان. وكذا الفضة والمعدن.

٣- نسبة العموم والخصوص من وجه: وتكون بين المفهومين اللذين يجتمعان في بعض مصاديقهما ويفترق كل منهما عن الآخر في مصاديق تخصه، كالطير والأسود، فإنهما يجتمعان

(١) علم المنطق السيد محمد تقي الجلالي صفحة ١٧٢-١٧٣.

في الغراب لأنه طير وأسود، ويفترق الطير عن الأسود في الحمام [الأبيض] مثلا، والأسود عن الطير في الصوف الأسود مثلا، ويقال لكل منهما: "أعم من وجه وأخص من وجه".

٤- نسبة التباين: وتكون بين المفهومين اللذين لا يجتمع أحدهما مع الآخر في فرد من الأفراد أبدا. وأمثلته جميع المعاني المتقابلة التي تقدمت في بحث التقابل، وكذا بعض المعاني المتخالفة مثل الحجر والحيوان. (١)

إذن البرهان بالإطلاق الأول بينه وبين الدليل نسبة التساوي، والبرهان بالإطلاق الثاني بينه وبين الدليل نسبة العموم والخصوص المطلق.

فعلى الإطلاق الثاني يكون البرهانُ أخصَّ من الدليل ولكن ذكرناه تدرجاً للوصول إلى المعنى المنقول الأخص ومن هنا تحصل أن النسبة بين الدليل والبرهان نسبة العموم والخصوص المطلق.

(١) المنطق، العلامة الشيخ محمد رضا المظفر ص ٦٢ بحسب الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

معنى البَون

البَون المسافة بين الشيئين ويقابله الدنو، والدنو هو شدة القرب أو المحاذاة نقرأ في القرآن الكريم (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى)[1] إلا أن البَون له إطلاقان فتارة يُطلق على المسافة بين الشيئين بالإطلاق بقطع النظر عن هذه المسافة التي بين الشيئين، وتارة يُطلق البَون ويُراد به المسافة البعيدة أو المفرطة بين الشيئين كما في قوله صلى الله عليه وآله (اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك وحروف العبد ثلاثة (ع ب د) فالعين علمه بالله والباء بَونه عمن سواه والدال دنوه من الله تعالى بلا كيف ولا حجاب ...)[2] فإن قلت قد يوصف البَون بأنه شاسع أو بعيد فيكف يوصف البعيد بأنه بعيد فهذا ضرب من ضروب حمل الشيء على نفسه وهو محال. أقول أولاً قد تقدم أن للبَون إطلاقين أحدهما المسافة بين الشيئين والآخر المسافة البعيدة بين الشيئين فإذا أُريد المعنى الأول صح الحمل وهو ليس ضربا من ضروب حمل الشيء على نفسه فلا مانع من وصفه ببعيد لأنه بالمعنى الأول قد يُراد بالبَون فقط المسافة فيصح وصف المسافة بالبُعد، وإن أُريد الإطلاق الثاني وهو المسافة البعيدة فكذلك جاز وصفه بالبعيد أو الشاسع على نحو الكناية والمجاز، لأن وصف البعيد بأنه بعيد غير جائز على نحو الحقيقة لأنه ضرب من ضروب حمل الشيء على نفسه أو تحصيل الحاصل وتحصيل الحاصل كما هو معلوم بالضرورة باطل، ولكنه يصح على نحو المجاز بإرادة المبالغة. وعوداً إلى الرواية الشريفة في العبودية فبالتدبر البسيط فيها يظهر أن البَون بمعنى المسافة البعيدة أو المسافة المفرطة لأنه صلى الله تعالى عليه وآله الطيبين الطاهرين قال (والباء بَونه عمن

---

(١) سورة النجم آية ٨-٩.

(٢) مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة؛ باب العبودية ص٧.

سواه والدال دنوه من الله تعالى) فهل من المُتَصَوَر عقلاً أن العبد يصل إلى حقيقة العبودية بالبَون عن الخلق بمسافة قريبة؟ فإن قلت نعم. أقول يعني أنك تقول إن العبد يكون قريباً من الله تعالى وقريباً من الخلق، إلا أن قُرْبَه من الخالق أشد وأكثر فاشترك قربُ العبد بين الخالق والخلق نعوذ بالله تعالى من ذلك، وإنما البَون هنا كما قلنا بالمعنى الثاني وهو المسافة البعيدة أو المفرطة بين الشيئين والشيء أعم من المادي فإنه يشمل المادي والمعنوي فالبَون كما يكون مثلاً بين أقصى المشرق وبين أقصى المغرب فكذلك يكون البَون بين معنى الواحد ومعنى الألْف مثلاً، وكما يكون بين الثريا والثرى فكذلك يكون بين قرب من كان إماماً أو رسولاً أو نبياً كرسول الله صلى الله عليه وآله وبين قرب الإنسان الكافر أو الملحد وأساساً الكافر أو الملحد ليس له قرب من الله تعالى ولكن ضربناه لتقريب الصورة والفكرة، ولنأخذ مثالاً أقرب من ذلك وهو قرب رسول الله صلى الله عليه وآله من الله تعالى وقرب أي مؤمن عادي يذنب ويتوب ويُخطئ ويؤوب ويعصي ويعود، فرسول الله صلى الله عليه وآله قريب من الله تعالى وهذا العبد قريب من الله تعالى بتوبته ولكن الفرق بينهما عظيم وهذا الفرق هو ما يُسمى أو يُطلق عليه البَون و(لا يقاس بآل محمد من هذه الأمة أحد ولا يُسوى بهم من جرت نعمتُهم عليه أبداً)[1]، ولكن لتقريب الفكرة قلنا هذا. إذن فكما أن البَون يكون مادياً فكذلك يكون معنوياً وكما أن البَون يكون كميَّاً كما مثّلنا في معاني الأعداد بين الواحد والألْف فكذلك يكون البَون كيفياً كالبَون بين كيفية صنع الفخار مثلاً وبين كيفية صنع الأجهزة الإلكترونية الدقيقة المعقدة كجهاز الحاسب الآلي أو أجهزة المركبات الفضائية مثلاً، فالبَون بين الكيفيتين شاسع والفرق واسع، والبَون والبَيْن واحد إلا أن البَون بالواو أفصح من البَيْن بالياء, وهو

(١) بحار الأنوار؛ ج٢٣؛ باب فضائل أهل بيت عليهم السلام والنص عليهم جملة من خبر الثقلين والسفينة وباب حطة وغيرها ص ١٠٤، نهج البلاغة؛ ج١؛ الخطبة الشقشقية وفيها تألمه من جور مثيري الفتنة في خلافته وحكاية حاله مع من سبقه ص ٣٠.

مأخوذ من مادة (بان) [ب ا ن] بان يبين بياناً وبوناً والبيان وهو الإيضاح والتصريح والإظهار، وإظهار الشيء إبرازه بمعنى أن إظهار الشيء لابد وأن يكون بأمرين:

الأول: بتعيين ما هو.

الثاني: بتعيين حده وحدوده.

وبالأول يكون الإظهار لبيان وجود الشيء وحقيقته، وبالثاني يكون الإظهار لبيان ماهية الشيء بحيث يكون هذا الإظهار مُبَيِّناً لبداية معنى الشيء ومُبَيِّناً لنهايته. فبالإظهار الأول يعرف الشيء وبالإظهار الثاني تُعرف ماهية الشيء وحَدُّهُ، وبالحد يخرج كل شيء سواه، فيكون البيان بأمريه الأول والثاني جامعاً مانعاً بمعنى أنه يكون جامعاً ومُدخلاً لكل أفراد ومصاديق المُبَيَّن، ومانعاً لكل أفراد ومصاديق غير المُبَيَّن من الدخول والانطباق تحت هذا البيان، وهذا الكلام كله هو في البيان في الوجود الذهني وكذلك الكلام في الواقع والوجود الخارجي فيستحيل أن يكون الشيء الخارجي الواحد ذا مفهومين في الوجود الذهني فتأمل!

فالبَون من البيان وما أعظم البيان (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ*الرَّحْمَنُ*عَلَّمَ الْقُرْآنَ*خَلَقَ الْإِنسَانَ*عَلَّمَهُ الْبَيَانَ)[1]، (...وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)[2]، (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ)[3].

ورُوي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال (إن من البيان لسحرا ومن العلم جهلاً ومن الشعر حكما ومن القول عدلا)[4].

وورد في شرح كتاب أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني تحت ذيل (إن من البيان لسحرا) قيل: هذا يحتمل المدح والذَّم، المدح من حيث أنَّ صاحبه قادر على استمالة القلوب بحسن عبادته ولطف دلالته وإفصاح مرامه وإبلاغ كلامه، والذّم من حيث أنّه قادر على تحسين القبيح وتقبيح الحسن وفي الاصطلاح قيل: هو أمر خارق مسببٌ عن سبب يعتاد كونه عنه فيخرج المعجزة والكرامة لأنّهما لا يحتاجان إلى تقديم أسباب وآلات وزيادة اعتمال بل إنّما تحصلان بمجرّد توجّه النفوس الكاملة إلى المبدء جلّ شأنه ، وأيضاً الإعجاز يتحقّق عند التحدّي دون السّحر. [5]

---

(١) سورة الرحمن آية ١-٤.

(٢) سورة النحل آية ٨٩.

(٣) سورة القيامة آية ١٩

(٤) بحار الأنوار ج ١ ص ٢١٨.

(٥) شرح كتاب أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج١ ص٢٩٥.

وخلاصة ما نريد قوله هنا أن البَون من البيان والبيان هو ما ذكرناه سابقاً وآثاره واضحة وقد علمتَ ذلك من كلام المولى المازندراني فبالبيان تقطعت الماهيات وتفصلت المعاني عن بعضها البعض ورُفع اللبس والالتباس فكأنما بالبيان تقطعت الماهيات وبالاشتباه اتصلت الماهيات واختلطت وبالبَون عُرف البعد بين الماهيات، فإن الشبهات والفتن والبدع تكون بخلط الماهيات، وإن الاشتباه له طرفان متكلم ومستمع فإن كان المتكلم تكلم عن عمد والتفات وعِلم بالخطأ سمي مغالطا ومخادعا على المستمع وإن كان المتكلم غير ملتفتٍ سمي جاهلا فعلى المؤمن الالتفات والانتباه لكل ما يسمع والتدقيق في المقالات خصوصاً إذا كانت تنسب إلى الدين وفي نفس الوقت أقول ليس عليه أن يكون مدققاً في تعامله مع أهله ومع المؤمنين بل عليه التسمح والتسامح وغض الطرف فإن التدقيق له موضع وغض الطرف له موضع آخر فاعرف أي من أي!، وعلى أية حال؛ إن من أعظم مناشئ الفتن والشبهات الأهواء المتبعة والأحكام المبتدعة ولذلك ورد عن أبي جعفر عليه السلام قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس فقال: أيها الناس إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع ، وأحكام تبتدع ، يخالف فيها كتاب الله، يتولى فيها رجال رجالا، فلو أن الباطل خلص لم يخف على ذي حجى، ولو أن الحق خلص لم يكن اختلاف ولكن

يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث [1] فيمزجان فيجيئان معا فهنالك استحوذ الشيطان على أوليائه ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى. [2]

(١) الضغث: بالكسر قبضة من حشيش مختلط فيها الرطب باليابس.

(٢) الكافي؛ ج١؛ ص٥٤؛ كتاب فضل العلم؛ باب البدع والرأي والمقاييس.

صياغة برهان البَون

إن برهان البَون لا يحتاج إلى كُلفة فكرية وهو من أبسط الأمور وهو إن استحق أن يطلق عليه برهان وهو كذلك إلا أن برهان البَون من أبسط وأسهل البراهين وإن برهان البَون من أدنى درجات سُلم البرهان فالبرهان سُلم ذو درجات فتوجد فيه درجات كثيرة منها الدرجات العالية ومنها الدرجات الوسطى ومنها الدرجات الدنيا والدرجة العليا درجات والدرجة الوسطى أيضاً درجات والدرجة الدنيا كذلك درجات وما بين العليا والوسطى درجات وما بين الوسطى والدنيا درجات، فالبرهان على درجات طولاً، والبرهان على أقسام وأنواع عرضاً، وبرهان البَون واقعاً وإنصافاً من درجات سُلم البرهان الدنيا، وأما إذا قلت فمن أي درجة هو من درجات الدرجة الدنيا أو من أعلاها أو من أوسطها أو من أسفلها ؟ فالجواب على هذا القول هو بحسب وضوح درجة البون بما هو بَون يعني بلحاظ البَون نفسِه كبَون مجرد، وإلا البَون بلحاظ المُلَبّس عليه أو المُشتبه فهو أيضاً يختلف باختلاف درجة فكر وتفكير هذا الإنسان المُلَبّس عليه أو المُشتبه، وإن قلت إن كان برهان البَون هو من الدرجة الدنيا وقد يكون من درجة دانية من الدرجة الدنيا فهذا مما يلتفت له الذهن بالبداهة ولا ترفضه الفطرة بالكراهة بل تقبله بقبول الانسجام والتناسب والتلاؤم والتراكب؟! أقول إن ما ذكرتَه

صحيح ولكن ماذا نفعل وأي شيء نعمل إذا ابتلينا بأناس قد رانت على قلوبهم كُثُب الغبار ووضعوا على فطرتهم الأستار والتبست في عقولهم الأفكار فصارت أبسط درجة من الدرجة الدنيا لسلم البرهان لا يدركونها ولا يكادون يبصرونها وقالوا قلوبنا غلف وقد فصلنا الكلام عن الغلف والأغلفة في محل آخر ليس له هنا موضع ومجال عندما كان الكلام عن قوله تعالى (وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ)[1]، فلجأنا مضطرين لكتابة هذا من جهة آسفين ومن جهة أخرى حباً ورحمة بالمؤمنين أنار الله تعالى برهانهم أجمعين ببرهان البَون وغيره من البراهين وبعد هذا أقول في صياغة برهان البَون:

"إن الفاقد لأدنى درجات الدرجة الدنيا يستحيل عقلاً أن يكون واجداً لأعلى درجات الدرجة العليا".

وهذا البَون يكون لنفي من ادّعى منصباً عالياً أو مكانة هو ليس أهلاً لها، ويمكن أن يكون القول في صياغة برهان البَون أنه لإثبات ادعاء من كان جامعاً لشرائط المنصب الذي يدّعيه وهو أهلٌ لذلك على عكس ما قلنا في صياغة النفي:

(١) سورة البقرة آية ٨٨.

"إن الواجد لأعلى درجات الدرجة العليا يستحيل عقلاً أن يكون فاقداً لأدنى درجات الدرجة الدنيا".

فعلى هذا التعريف أو الصياغة لبرهان البَون يكون الأمر سهلاً جداً لمن التفت إليه لأن الالتفات بما هو التفات كافٍ في النجاة من الشتات، والالتفات كفيل في التمييز والتفريق بين المدّعي لأعلى المناصب الكبيرة وهو أهل لذلك وبين المدّعي لها وهو أجوف الحال بعيداً عنها وهو ممن لعبت عليه نفسُه وأعانه على ذلك شِقوتُه وغلبه هواه وإن قلتَ ألا يمكن أن يكون المدّعي لهذا المنصب الكبير جاهلاً؟

أقول يقول الشاعر صفي الدين الحلي:

فتُراكَ تَدري أنّ حبّكَ مُتلِفي لكنّني أُخفي هَواكَ وأكتِمُ

إن كنتَ ما تدري فتلكَ مصيبةٌ أو كنتَ تَدري فالمصيبَةُ أعظَمُ

يعني إن كان هذا المدّعي لهذا المنصب الكبير جاهلاً بالجهل المركب فهذه هي المصيبة العظمى والطامة الكبرى أن يدّعي أقل الناس وأحمقهم أعظم المناصب ولا تعجب من قولي عنه بأحمقهم فهذا ليس من عندي أما سمعتَ بقول الإمام البار الأمين جعفر بن محمد الصادق عليه السلام:

" الرِّجالُ أربَعَةٌ: رَجُلٌ يَعلَمُ ويَعلَمُ أنَّهُ يَعلَمُ فَذاكَ عالِمٌ فَتَعَلَّموا مِنهُ، ورَجُلٌ يَعلَمُ ولا يَعلَمُ أنَّهُ يَعلَمُ فَذاكَ نائِمٌ فَأَنبِهوهُ، ورَجُلٌ لا يَعلَمُ ويَعلَمُ أنَّهُ لا يَعلَمُ فَذاكَ جاهِلٌ فَعَلِّموهُ، ورَجُلٌ لا يَعلَمُ ولا يَعلَمُ أنَّهُ لا يَعلَمُ فَذاكَ أحمَقٌ فَاجتَنِبوهُ". (١)

وإن قلتَ إن الذي ورد في الرواية الشريفة هو بذكر الصفة أي بصيغة (أحمَق) ولم يرد بصيغة أفعل التفضيل كأن تقول الرواية الشريفة أحمق من صاحبه أو أحمق الأربعة فلم قلتَ أحمق الناس؟ أقول بعد ثبوت الحماقة فيه بالصفة فقد ثبتت فيه بأعلى مراتب الحماقة لادعائه أعلى المناصب جهلاً بنفسه وجهلاً بها، فهو لم يدّعِ منصباً عادياً بل ادّعى أعلى المناصب وأكبرها فيشتد الحمق باشتداد مرتبته ونوعه المستجار بالله تعالى من ذلك.

ولكي يتضح الأمر بوضوح جلي بالنسبة للجاهل نقول إن الجاهل إما أن يكون جاهلاً بالجهل البسيط أو جاهلاً بالجهل المركب وعلى هذا نورد هذا التقسيم ونقول:

* الجهل البسيط والجهل المركب بالنسبة لمدّعي المناصب العالية ينقسم إلى قسمين:

(١) موسوعة العقائد الإسلامية – محمد الريشهري ج١؛ ص٣٤٧.

القسم الأول: ما يخص الجهل البسيط:

أولاً: الجهل البسيط بلحاظ الجاهل من جهة تصوره:

إن الجاهل بالجهل البسيط إذا فكر في نفسه عن نفسه من جهة مكانته العلمية بالنسبة لهذا المنصب العالي فسوف يقول في نفسه أنا جاهل بالنسبة لهذا المنصب العالي ولا أصلح أن أكون فيه، إذن لا يمكن تصور ذلك منه بأن يكون جاهلاً غير صالح للمناصب العالية، والمناصب العالية ليس لها إلا عالم وأهل لها. وإن قلتَ لعله يشتبه في تشخيص درجته العلمية لهذا المنصب العالي، أقول هذا جهل مركب وليس جهلا بسيطا وسيأتي الكلام عن الجهل المركب فانتظر.

ثانياً: الجهل البسيط بلحاظ نفسه من جهة تصورنا:

إننا إذا فكرنا في الجاهل بالجهل البسيط من جهة درجة مكانته العلمية بالنسبة لهذا المنصب العالي فسوف نقول عين كلام الجاهل لأن كلامه من نطق الفطرة وقوله بأنه جاهل بالنسبة لهذا المنصب العالي ولا يمكن أن أكون صالحاً له، والكلام هو الكلام في الاشتباه وهو جهل مركب وسيأتي الكلام عنه.

ثالثاً: الجهل البسيط بلحاظ الادّعاء من جهة تصوره:

إن الجاهل بالجهل البسيط قد عرف نفسه بنفسه في تصوره مع علمه بدرجة مكانته العلمية بأنه لا يصلح لهذا المنصب العالي، إذن لا يمكن ادّعائه للمناصب العالية مع قوله إني جاهل فعلموني لأن نتيجة ذلك هو القول منه بأني جاهل فعلموني وإني عالم فسأعلمكم في نفس الجهة – ونقصد بكلامنا في نفس الجهة أي أن يدّعي ويقول إني جاهل مثلاً في الفقه فعلموني وعالم في الفقه فسأعلمكم وإلا مع اختلاف الجهة فهذا ممكن ولا بأس به مثل أن يقول إني جاهل في الفقه فعلموني وإني عالم في الطب فسأعلمكم – ومؤداه أن يكون هو جاهلا وهو لا جاهل وهذا ضرب من ضروب اجتماع النقيضين وهو محال بالضرورة كما تعلم. ولكن موافقة الفطرة تحتاج إلى وجود ملكات أخلاقية من عفةٍ وتقوى وورع، فإن كان هذا الجاهل بالجهل البسيط عنده عفةٌ وتقوى وورع لن يدّعِي أنه صالح لهذا المنصب العالي، وإن كان هذا الجاهل بالجهل البسيط ليس عنده ملكات أخلاقية من عفةٍ وتقوى وورع فمن الممكن أن يدّعي الأهلية والصلاح لهذا المنصب العالي مع علمه بعدم الصلاح والأهلية شقاوة منه ومخالفة للدين والفطرة.

رابعاً: الجهل البسيط بلحاظ الادّعاء من جهة تصورنا:

إن الكلام هنا هو نفس الكلام في (ثالثا) ممن الممكن ادّعاء الجاهل بالجهل البسيط للمناصب العالية إن لم تكن عنده ملكات أخلاقية من عفةٍ وتقوى وورع شقاوة منه ومخالفة للدين والفطرة.

خامساً: الجهل البسيط بلحاظ التحقق والوقوع تصوراً [ثبوتاً]:

ونقصد به التحقق والوقوع في الوجود الذهني وهو لا يمكن تصوره أي أن يكون الجاهلُ عالماً، وعدم إمكان التصور هنا من جهة أن الشيء يمكن تصوره إن كان من الممكنات وقضية (الجاهل عالم) هي من الممتنعات لأنها فرد من أفراد اجتماع الضدين واجتماع الضدين أمر غير ممكن وهو ممتنع، إذن لا يمكن تصوره.

سادساً: الجهل البسيط بلحاظ التحقق والوقوع خارجاً [إثباتاً]:

إن التحقق والوقوع في مرحلة الوجود الخارجي هو فرع التحقق والوقوع في مرحلة الوجود الذهني، وهذه المرحلة أي مرحلة التحقق والوقوع في الوجود الذهني وتسمى بالإمكان أو الثبوت وهي مرحلة سابقة على مرحلة التحقق والوقوع الخارجي فإذا لم يمكن أن يكون الجاهلُ عالماً بمعنى أنه امتنع تحققه ووقوعه في الوجود الذهني إمكاناً وثبوتاً فمن باب أولى امتناعه تحققاً ووقوعاً في الوجود

الخارجي. وإذا انتفى التصور انتفى التحقق والوقوع في الخارج فينتفي الإثبات بانتفاء الثبوت أو تنتفي الصغرى بانتفاء الكبرى.

القسم الثاني: ما يخص الجهل المركب:

أولاً: الجهل المركب بلحاظ الجاهل من جهة تصوره:

إن الجهل المركب سُمي مركبا لأنه مركب من جهتين من الجهل فالجاهل بالجهل المركب عنده جهتان في تصوره هو جاهل بهما فالجهة الأولى جهله بالمعلوم والجهة الثانية جهله بنفسه بأنه جاهل بالمعلوم، فهو جاهل بالمعلوم وجاهل بنفسه بأنه جاهل بالمعلوم فهو يتصور أنه عالم بهذا المعلوم، ويمكن أن يكون الجهل المركب بين مرتبتين متقاربتين ولا يمكن أن يكون بين مرتبتين متباعدتين بينهما بَون سواءً أكانت هاتان المرتبتان من أدنى المراتب أو كانت من أعلى المراتب، وإن الجاهل بالجهل المركب ليس في تصوره أنه في مرتبة أدنائية ويقفز فجأة أو بعد فترة وجيزة إلى أعلى المراتب إلا أن يكون غير عاقل، ولتقريب ذلك نقول لا يمكن أن يوجد جاهل بالجهل المركب وهو يدرس مثلاً في بداية المرحلة الابتدائية وفجأة أو

بعدة فترة وجيزة كالسنة أو السنتين أو فلتقل حتى الخمس السنوات يكون جاهلاً بنفسه ويحسب أنه في أواخر المرحلة الجامعية أو أنهاها!! فهذا غير معقول في نفس تصور الجاهل بالجهل المركب نفسِه لأن هذا مخالفة للعقل والفطرة والطبيعة والوجدان، فعلى هذا لا يمكن أن يكون في تصور الجاهل بالجهل المركب استحقاقه وأهليته للمناصب العالية. إلا أن يكون غير عاقل.

ثانياً: الجهل المركب بلحاظ الجاهل من جهة تصورنا:

إن الجاهل بالجهل المركب من جهة تصورنا هو ما ذكرناه في (أولاً) لأن ذلك من نطق العقل والفطرة فالجهل المركب يقع من الجاهل بالجهل المركب في مرتبتين متقاربتين ولا يقع بين مرتبتين متباعدتين وبينهما بَون. ففي تصورنا لا يمكن أن نتعقل ادّعاء الجاهل بالجهل المركب للمناصب العالية وهو في مرتبة دانية أدنائية.

ثالثاً: الجهل المركب بلحاظ الادّعاء من جهة تصوره:

بعد ما ذكرنا أن الجاهل بالجهل المركب غير متصوَّر أنه يدّعي أهليته للمناصب العالية وهو في مرتبة دانية أدنائية لا في تصوره ولا في تصور العقلاء إلا

أن الاعتراف بالحق فضيلة وهذه الفضيلة تتطلب وجود ملكات أخلاقية من عفةٍ وتقوى وورع فإن وجدت هذه الملكات الأخلاقية في نفس الجاهل بالجهل المركب فسوف يمسك نفسه عن الادّعاء ويحبسها عن الوقوع في مكاره ادّعاء المناصب العالية بغير حق. وإن لم تكن عنده هذه الملكات الأخلاقية فيمكن أن يدّعي ذلك شقاوة منه ومخالفة للدين والفطرة.

رابعاً: الجهل المركب بلحاظ الادّعاء من جهة تصورنا:

إن الكلام هنا هو نفس الكلام في (ثالثاً) بمعنى أنه من الممكن ادّعاء الجاهل بالجهل المركب للمناصب العالية إذا لم تكن عنده ملكات أخلاقية من عفةٍ وتقوى وورع شقاوة منه ومخالفة للدين والفطرة.

خامساً: الجهل المركب بلحاظ التحقق والوقوع تصوراً [ثبوتاً]:

ونقصد به التحقق والوقوع في الوجود الذهني ولا يمكن أن نتصور أن يكون الجاهل بالجهل المركب أهلاً للمناصب العالية وقد اتضح ذلك فيما سبق في (أولاً) من القسم الثاني.

سادساً: الجهل المركب بلحاظ التحقق والوقوع خارجاً [إثباتاً]:

إن التحقق والوقوع في مرحلة الوجود الخارجي هو فرع التحقق والوقوع في مرحلة الوجود الذهني، وهذه المرحلة أي مرحلة التحقق والوقوع في الوجود الذهني وتسمى بالإمكان أو الثبوت هي مرحلة سابقة على مرحلة التحقق والوقوع الخارجي فإذا لم يمكن أن يكون الجاهلُ عالماً بمعنى أنه امتنع تحققه ووقوعه في الوجود الذهني إمكاناً وثبوتاً فمن باب أولى امتناعه تحققاً ووقوعاً في الوجود الخارجي. وإذا انتفى التصور انتفى التحقق والوقوع في الخارج فينتفي الإثبات بانتفاء الثبوت أو تنتفي الصغرى بانتفاء الكبرى.

وليعلم القارئ الكريم أننا قسّمنا الأمر بهذا التقسيمات لئلا يقع الخلط والاشتباه بين الجهل والجاهل وبين الجهل البسيط والجهل المركب وبين تصور الجاهل وتصور العقلاء وبين التصور وبين التحقق والوقوع وبين الادّعاء وصدق الادّعاء

* فتحصل من ذلك أنه لا يمكن تصور المدّعي للمناصب العالية الكبيرة إن كان جاهلاً بالجهل البسيط أو جاهلاً بالجهل المركب لا في تصوره ولا في تصور العقلاء، وأما الادّعاء فيمكن في تصور الجاهل بالجهل البسيط والجاهل بالجهل المركب إذا لم تكن عندهما ملكات أخلاقية من عفةٍ وتقوى وورع.

***تذكير وإلفات: طبعاً لا يمكن أن يكون المدّعي للمناصب والمراتب العالية وهو ليس أهلاً لها جاهلا بالجهل المركب وعدم الإمكان هنا بشرط وجود البَون بين مرتبته الواقعية الحقيقية التي هو فيها وبين المرتبة التي يدّعيها وإلا يمكن أن يكون جاهلاً بالجهل المركب بعدم وجود البَون بين المرتبتين، كأن يكون جاهلاً بنفسه من حيث وصوله إلى مرتبة معينة وعدم وصوله إليها وهو يحسب أنه قد وصل إليها. كأن يحسب مثلاً أنه وصل إلى درجة ٩٩٪ وهو في الواقع في المرتبة ٩٨٪ فهذا أمر ممكن، وأما كلامنا بعدم إمكانية وقوع المدّعي للمناصب والمراتب العالية في الجهل المركب بشرط وجود البَون بين المرتبتين هذا إن وُجدت المرتبة الدانية فتأمل وتنبه!**

أمثلة لبرهان البَون

قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: صف لنا العاقل فقال عليه السلام: هو الذي يضع الشيء مواضعه. فقيل: فصف لنا الجاهل؟ فقال: قد فعلت.

قال الشريف الرضي رحمه الله تعالى: يعني أن الجاهل هو الذي لا يضع الشيء مواضعه، فكأن ترك صفته صفة له، إذ كان بخلاف وصف العاقل. (١)

فالحكيم والعاقل هو من تراه واضعاً كل شيء في محله وسواء أكان هذا المحل زماناً أو مكاناً أو شخصاً أو كماً أو كيفاً أو فاعليةً أو قابليةً، وإن الإنسان العاقل ليعرف العاقلَ من غير العاقلِ بهذا ويعرف الإنسان الحكيم من غير الحكيم بهذا بل ويعرف العاقل والحكيم في أي درجة هو من العقل والحكمة بهذا فتجد نفسك مثلاً جالساً في مجلسٍ وأحد الجالسين يتحدث فتراه من غير قصد قد أخطأ في لفظ معين لسبق لسان مثلاً فكانت هذه الكلمة في غير موضعها فإنك في هذه الحال بعقلك السليم تعرف وتميز العاقل ودرجته من خلال التأثر الطبيعي لهذا الموقف إن كان يضحك أو لا يضحك وإن كان يضحك فإنك تعرف إلى أي حد هو يضحك فلو فرضنا أن هذا الموقف يضحك بدرجةٍ ما كأن نقول يضحك بدرجة ٣٠٪ مثلاً، بل ولربما كان الموقف مضحكاً فعلاً من جهة ولكن العقل يحكم بكتم الضحك وحبس النفس عن

(١) نهج البلاغة؛ ص ٥١٠؛ ح٢٣٥.

الوقوع في المكاره المترتبة على هذا الضحك من جهة أخرى فقد يكون في هذا الضحك هتكاً لحرمة المتحدث أو جرحاً لمشاعره، وعلى أية حال إن العاقل في مثل هذه المواقف وغيرها من المواقف يعرف ويميز الموقف ويعرف ويميز التأثر الطبيعي المناسب له وهذا هو دور العقل، ومن هذا المنطلق نقول إن العاقل والحكيم هو الذي يضع التأثر الطبيعي فيما يناسبه وفي محله فلربما كان التأثر الطبيعي كتما وستراً للموقف وترى غير العاقل والحكيم متبسماً مظهراً للتبسم وربما كان التأثر الطبيعي كتماً للضحك وترى غير العاقل والحكيم ضاحكاً متقهقهاً وربما كان التأثر الطبيعي ضحكاً بدرجة ٣٠٪ مثلاً فترى العاقل والحكيم ضاحكاً بدرجة ٣٠٪ وترى المُفْرِط لم يضحك أو ضحك بدرجة ٣٪ مثلاً وترى المُفَرّط ضاحكاً بدرجة ٩٠٪ أو ٩٥٪ غافلاً أو متغافلاً عن أثر هذا التأثر، والغافل نتيجة جهله، والمتغافل نتيجة لأسباب كثيرة منها العصيان أو الاستهزاء أو غير ذلك مع الالتفات وإلا لا يكون تغافلاً.

والخلاصة أن التأثر الطبيعي هو التصرف الطبيعي المقتضي لطبع البشر والموافق للعقل والفطرة السليمة في موضعه وبحسب درجته. وإن هذه الآثار الطبيعية هي التصديقات للتصورات الذهنية العقلية والحكمية وإن لها الأثر العظيم في الكاشفية عن العقل والحكمة وإن لها الأثر الكبير في تقدير المؤمنين واحترام

مشاعرهم، وبعد هذا أقول فكما أن العقل والحكمة تكون في التأثر الطبيعي فكذلك يكون الأمر في المناصب العالية الكبيرة من أدنى درجاتها إلى أعلى درجاتها وعلى جميع الأصعدة والمجالات فليس الأمر متوقفاً على المناصب الدينية فحسب – رغم أن محل كلامنا هو الدين وله النصيب الأكبر – بل ويجري هذا في غير المناصب الدينية كالطب مثلاً والهندسة والعمارة والتجارة والنجارة، كمن يدّعي أعلى المناصب الطبية وهو لا يعلم ولا يعرف أن قطعةً من القماش قد وُضعت في ماء بارد تقلل من ارتفاع درجة الحرارة إذا وُضعت على جبين المحموم، والكلام هو الكلام نفسه في الهندسة وغيرها، وإن قلتَ أن نجاراً لا يعرف المسامير لكان الكلام هو هو. وهكذا في العمارة والتجارة وغيرها من المناصب العالية الأخرى في هذه التخصصات. وإن كلَ المصائب مصائب وقد تهون بالنسبة إلى غيرها إلا المصائب في الدين فقد ورد في كتاب الكافي الشريف رفعه قال كان أبو عبدالله عليه السلام يقول عند المصيبة: "الحمد لله الذي لم يجعل مصيبتي في ديني والحمد لله الذي لو شاء أن يجعل مصيبتي أعظم مما كانت والحمد لله على الأمر الذي شاء أن يكون فكان" [1]

(١) الكافي ج٣؛ ص٢٦٢ كتاب الجنائز/ باب النوادر/ حديث ٤٢.

فإن في هذه الرواية الشريفة حمدا لله تعالى من الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أن مصيبته لم تكن في دينه، إذن فمن أعظم المصائبِ المصائبُ في الدين المستجار بالله تعالى من ذلك.

❖ المثال الأول: ادّعاء الخلافة لرسول الله صلى الله عليه وآله.

يدّعي أحدهم أنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وهو لا يعرف آية واحدة في القرآن الكريم يعرفها حتى الصِبية وهي آية التيمم يأتيه رجل يقول له أبقى في الصحراء لمدة طويلة تصل إلى الشهر ولا أتمكن من الحصول على الماء فماذا أفعل مع الصلاة يقول له لا تصلِ. أوَ من يدَّعي مثل هذا المنصب لا يعرف مثل هذه الضروريات المشهورات الواضحات؟! أو مَن لا يعرف إرث الجدة! أو مَن قد هَمَّ بإقامة الحد على المجنونة! لولا لطف ولي الله تعالى في أرضه، وما هذا إلا لأنه ادّعى منصباً هو ليس أهلاً لبعضه فضلاً عن أهليته له، (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ). [1]

❖ المثال الثاني: ادّعاء منصب الإمامة.

(١) سورة الحج آية ٤٦.

من المعلوم أن الإمامة منصب إلهي وأن الإمام المعصوم يطلعه الله تعالى على الغيب (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً*إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً) [1]، وهل يعقل أن أحداً يدّعي أنه إمام وهو يقامر ويشرب النبيذ وهذا هو حال جعفر فإنه ادّعى الإمامة بعد الإمام الزكي الحسن العسكري عليه السلام أفيجوز أن يكون الإمام شاربا للنبيذ مقامرا في الجوسق لاعبا بالطنبور؟ كما عبر بذلك أبو الأديان وهو أحد خدام الإمام الحسن العسكري عليه السلام كما سيأتي وجعفر ينكر علم الغيب للإمام أفيمكن أن يكون جعفر وهو حفيد إمام وابن إمام وأخو إمام وعم إمام غير عالم بأنه ليس إماما فضلاً عن أنه لا يعلم بأن الإمام يعلم الغيب بإعلام من الله وتأييد وتسديد؟!

الحديث الأول:

نقل في كفاية المهتدي عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن هبة الله الطرابلسي في كتابه (الفرَج الكبير) بسنده عن أبي الأديان وكان أحد خدّام الامام العسكري عليه السلام، أنّه قال: كنت أخدم الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وأحمل كتبه إلى

([1]) سورة الجن آية ٢٦-٢٧.

الأمصار فدخلت إليه في علّته التي توفّي فيها صلوات الله عليه، فكتب معي كتباً وقال: تمضي بها إلى المدائن فإنّك ستغيب خمسة عشر يوماً فتدخل إلى سرّ من رأى يوم الخامس عشر، وتسمع الواعية في داري وتجدني على المغتسل.

قال أبو الأديان: فقلت: يا سيّدي فإذا كان ذلك فمن؟ قال: من طالبك بجوابات كتبي [فهو القائم بعدي] فقلت: زدني فقال: من يصلّي عليّ فهو القائم بعدي فقلت: زدني فقال: من أخبر بما في الهميان [فهو القائم بعدي] ثمّ منعتني هيبته أن أسأله ما في الهميان، وخرجت بالكتب إلى المدائن وأخذت جواباتها، ودخلت سرّ من رأى يوم الخامس عشر كما قال لي عليه السلام فإذا أنا بالواعية في داره وإذا أنا بجعفر بن علي أخيه بباب الدار، والشيعة حوله يعزّونه، [ويهنّئونه] فقلت في نفسي: إن يكن هذا الإمام، فقد بطلت الإمامة لأني كنت أعرفه بشرب النبيذ ويقامر في الجوسق ويلعب بالطّنبور.

فتقدّمت فعزّيت [وهنّيت] فلم يسألني عن شيء، ثم خرج عقيد فقال: يا سيدي قد كفّن أخوك فقم للصلاة عليه، فدخل جعفر بن علي والشيعة [من حوله يقدمهم السمان والحسن بن علي قتيل المعتصم المعروف بسلمة].

فلما صرنا في الدار إذا نحن بالحسن بن علي صلوات الله عليه على نعشه مكفّناً فتقدّم جعفر بن علي ليصلّي على أخيه فلمّا همّ بالتكبير خرج صبيٌّ بوجهه سمرة، بشعره قطط، [بأسنانه تفليج]، فجذب رداء جعفر بن عليّ وقال: تأخّر يا عمّ فأنا أحقّ بالصلاة على أبي، فتأخّر جعفر وقد اربدَّ وجهه، فتقدّم الصبي فصلّى عليه، ودفن إلى جانب قبر أبيه عليهما السلام.

ثم قال: يا بصري هات جوابات الكتب التي معك، فدفعتها إليه، وقلت في نفسي: هذه اثنتان بقي الهميان ثمّ خرجت إلى جعفر بن علي وهو يزفر، فقال له: حاجز الوشّاء: يا سيدي من الصبيّ؟ . ليقيم عليه الحجة . فقال: والله ما رأيته قطّ ولا عرفته.

فنحن جلوس إذ قدم نفر من قم فسألوا عن الحسن بن علي صلوات الله عليه فعرفوا موته فقالوا: فمن نعزّي؟ فأشار الناس إلى جعفر بن علي فسلّموا عليه وعزّوه [وهنّأوه] وقالوا: معنا كتب ومال فتقول ممّن الكتب وكم المال؟ فقام ينفض أثوابه، ويقول: يريدون منّا أن نعلم الغيب قال: فخرج الخادم فقال: معكم كتب فلان وفلان، وهميان فيه ألف دينار عشرة دنانير منها مطلّسة فدفعوا الكتب والمال وقالوا: الذي وجّه بك لأجل ذلك هو الإمام.

فدخل جعفر بن علي على المعتمد وكشف له ذلك فوجّه المعتمد خدمه فقبضوا على [صقيل الجارية وطالبوها بالصبيّ فأنكرته وادّعت حملا بها لتغطّي على حال الصّبي فسلّمت إلى ابن أبي الشوارب القاضي] وبغتهم موت عبيد الله [بن يحيى] بن خاقان فجأة وخروج صاحب الزنج بالبصرة، فشُغلوا بذلك عن [الجارية] فخرجت عن أيديهم. (١)

أفهل يُعقل أن إنساناً يدّعي الإمامة وهو لا يعرف حرمة شرب الخمر؟!

❖ المثال الثالث: ادّعاء منصب المرجعية أو منصب الاجتهاد.

من يدّعي منصب المرجعية في الحوزة الدينية أو من يدّعي منصب الاجتهاد وخصوصاً ادّعاء الاجتهاد المطلق، ومن المعلوم أن مراحل الدراسة الحوزوية تمر بثلاث مراحل منهجية تسلسلية ولا يمكن الانتقال إلى المرحلة الثانية إلا بإنهاء المرحلة الأولى وهكذا الأمر بالنسبة للمرحلة الثالثة وهذا الأمر طبيعي فلا يمكن الانتقال إلى اللاحق إلا عن طريق المرور بالسابق كما هو الحال بالنسبة إلى الدراسة الطبيعية غير الدينية خارج الحوزة وهذه المراحل الثلاث ليس من يصل إلى

(١) كتاب النجم الثاقب في أحوال الإمام الحجة الغائب؛ ج٢؛ ص١١؛ الحديث الأول.

المرحلة الثالثة فيها فقد أنهى العلم كلَه. كلا؛ وإنما نقول هذا لتوضيح مسيرة الدراسة الحوزوية.

وأما مراحل الدراسة في الحوزة الدينية فهي ثلاث:

١- مرحلة المقدمات.

٢- مرحلة السطوح.

٣- مرحلة البحث الخارج.

*** أما ما يُدرس في مرحلة المقدمات فهي الكتب التالية: النحو، الصرف، العلوم البلاغية، العَروض، المنطق، الفقه، أصول الفقه، الأخلاق، التفسير، وبعض النصوص الأدبية.**

***إلفات: بعض الكتب من كتب المقدمات تقع أيضاً على مراحل فمثلاً النحو والصرف يدرس الطالب:**

أولاً: كتاب الاجرومية.

ثانياً: كتاب قطر الندى وبل الصدى.

ثالثا: ألفية ابن مالك مع شرحها.

وهكذا غيره وليس الكل.

* أما ما يُدرس في مرحلة السطوح فكتب نذكر منها على غير الترتيب:

- الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية.
- الرسائل.
- المكاسب.
- الكفاية.

وغيرها من الكتب الاستدلالية والتي تحتاج إلى فهم عالي ودقيق بل ويتوقف فهمها على فهم وإتقان دروس مرحلة المقدمات ففي هذا المرحلة يدرس الطالب في الحوزة دروساً استدلالية ليعرف طرق الاستدلال الصحيحة ويتعلم ويتدرب عليها.

* وأما ما يُدرس في مرحلة البحث الخارج فهو درس يختلف عن دروس المقدمات ودروس السطوح لأن هاتين المرحلتين يتقيد فيها الطالب والأستاذ بكتب معينة تتم دراستها وأما في مرحلة البحث الخارج فلا يُلتزم بكتاب معين بل يتناول الأستاذ قاعدةً أو نظرية معينة ويعرضها بعرض ودراسة استدلالية معمقة بحيث أن

الأستاذ يعرض القاعدة الفقهية أو القاعدة الأصولية ويستعرض فيها آراء العلماء القدماء السابقين وآراء العلماء المعاصرين من جهة الاستدلال والدليل ومن جهة النتيجة أي نتيجة الاستدلال فلربما وافق من وافق منهم في الاستدلال وخالفه في النتيجة أو العكس كأن يوافقه في النتيجة ويخالفه في الاستدلال وكأن لسان ذهن الأستاذ يقول: "هذا الاستدلال صحيح ولكن لا يعطي هذه النتيجة" أو أنه يقول مثلاً "هذه النتيجة صحيحة ولكن لا يصح أن تكون وليدة لهذا الاستدلال لأن هذا الاستدلال لهذه النتيجة يرد عليه كذا وكذا كأن يقول إن هذه القاعدة مبتنية على هذه الرواية وهذه الرواية غير معتبرة عندنا لأنا قد بيَّنا عدم اعتباريتها من جهة السند بكذا أو من جهة الدلالة بكذا أو من الجهتين وهذه القاعدة بناءً على هذه الرواية تكون منهدة الأركان" إلى غير ذلك من أنواع الاختلاف بين الفقهاء، وبعد هذا سيتضح لك بحق من هو الذي يستحق أن يُدّرس البحث الخارج وهو له أهل كما اتضح لك من هو الذي يستحق أن يحضر مرحلة السطوح ولكن قبل أن نوضح من هو الذي له الحق بأن يُدرّس البحث الخارج لابد وأن نوضح أولاً من الذي له الحق في حضور البحث الخارج وهو له أهل وهو كفؤ لذلك، والأمر في ذلك واضح وهو من أنهى وأتقن مرحلة السطوح بحق ومن لم يتقن السطوح فليس له الحق في حضور

درس البحث الخارج بل وأساساً ليس لديه القدرة وليس عنده القابلية في الفهم والاستيعاب والوصول إلى المقاصد في هذه المرحلة، وإن الطالب في هذه المرحلة والتي هي مرحلة البحث الخارج ليس على درجة واحدة بل الأمر فيه تفاوت واختلاف وباختصار نقول إن الطالب في مرحلة البحث الخارج على ثلاث درجات طولاً لا عرضاً وهي كالتالي.

* الدرجة الأولى: وقد تسمى بحثا خارجا مجازا وهي للطلاب المبتدئين فالطالب فيها يتمكن من فهم آراء العلماء الأعلام وأدلتهم فيكون مميزاً بين الآراء وحدودها بالدقة وهي مرتبة علمية قوية وهذه المرحلة ممكنة للمجتهد المتجزي والفاضل بالمعنى الأخص وليس الفاضل بالمعنى الأعم.

* الدرجة الثانية: يستطيع الطالب فيها أن يشكل (يهدم) الآراء ويورد عليها إشكالات وهذه الدرجة متقدمة رتبة على الدرجة الأولى، وهذه الدرجة لا تكون إلا بوجود مَلَكَة راسخة عند الطالب.

* الدرجة الثالثة: وهي التي يستطيع فيها الطالب أن يبني له نظرية ويختار له رأياً معيناً بأدلة علمية صامدة حقة ويدافع عن رأيه وعن نظريته.

فإن قيل متى يكون طالب العلم في الحوزة مرجعاً وفي أي مرحلة من هذه المراحل الثلاث وكيف هو السبيل للوصول إليه ومعرفته؟ أقول قبل الإجابة عن هذا السؤال هناك سؤال قبله وسابق عليه وهو متى يكون طالب العلم في الحوزة من أهل الخبرة وفي أي مرحلة من مراحلها؟ فبالجواب على هذا السؤال السابق يكون الجواب والسبيل للوصول إلى الجواب اللاحق وهو متى يكون المرجعُ مرجعاً؟

فإن قيل متى يكون الرجل من أهل الخبرة وفي أي مرحلة من مراحل الحوزة يكون؟ أقول ليس الرجل يكون من أهل الخبرة إذا كان خطيباً نستمع إليه في المأتم وليس هو إمام الجماعة الذي نصلي خلفه في المسجد. كلا. بل وليس هو الذي درس المقدمات وليس هو الذي درس السطوح وليس الذي هو في الدرجة الأولى من البحث الخارج أو الدرجة الثانية وإنما هو الذي وصل إلى الدرجة الثالثة أو كان قريبا جداً منها، فقبل السؤال عمن هو المرجع أو مَن هو الأعلم هناك سؤال سابق عليه وهو مَن هو الذي يكون من أهل الخبرة؟ وهو الذي يعرف المرجع الأعلم وهو الذي يوصلني إليه وهو الذي له الحق بأن يقول (أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ)[1]، وبعد أن أحرز أن شخصين هم من أهل الخبرة بتقواهم وورعهم أسأل منهم بعد ذلك مَن أُقلد ومن

(١) سورة النمل آية ٢٢.

هو الأعلم حتى لو بقيت سنة كاملة أو سنتين لا يعتبر ذلك من إضاعة الوقت والوصول لهذا الأمر ليس أمراً مستحيلاً وفي نفس الوقت ليس هو بالسهل.

وأما الجواب على سؤال متى يكون المرجع مرجعاً؟ أقول المرجع هو الذي قد صارت عنده ممارسة كثيرة كثيرة جداً جداً واستحضار للأدلة واستحضار للروايات وهي مرحلة عظيمة جداً وهي فوق هذه المراحل الثلاث بكثير، قال أحد المجتهدين "الشيخ الأعظم الأنصاري بعد ما أتته المرجعية راجع الأدلة قبل أن يكتب الرسالة ٢٢ مرة أو ٢٠ مرة تقريباً، فمرحلة المرجعية مرحلة عظيمة جداً جداً جداً أنا أعجز وأنا أقول عظيمة جداً جداً وأقول هنيئا لمن وُفق. يقول الشيخ بشير النجفي دام ظله بعد أن تصدّى السيد الخوئي قدس سره للمرجعية في بداية مرجعيته شُكِّل وفد من قم بغرض التحدي الشريف مع السيد الخوئي وهم فضلاء بالمعنى الأخص ثم حضروا بحث السيد الخوئي لهذا الغرض وفي البحث بيَّن السيد مثلا رأي صاحب الجواهر وقام الوفد وأشكل، قال السيد الخوئي هذا الإشكال على صاحب الجواهر وليس عليَّ وفي وسط البحث بيَّن رأي السيد الحكيم ثم قاموا وأشكلوا، قال السيد الخوئي هذا رأي السيد الحكيم وإلى ثلاثة أو أربعة آراء لعلماء، ثم قال السيد الخوئي والتحقيق (أي بعد عرضه الآراء وإشكال الوفد عليها) يريد الآن أن يبني قال (والتحقيق كذا) واختار

الرأي وقال ويدل عليه كذا وأدافع عنه بكذا وبعد ما بيَّن قال تفضل يا وفد (بتحدي علمي) ثم بعد ذلك خضعوا وخرجوا وقالوا: نعم هذا مرجع"[1].

أفمن يدّعي أنه مرجع وهو يُنكر عصمة الزهراء عليها السلام أو ينكر النص الإلهي القرآني على أمير المؤمنين عليه السلام كمن شهدت له المرجعيات والحوزات بالأنوار العلمية؟!

وبعد هذا نكتفي بهذه الأمثلة من أمثلة برهان البَون.

(١) نقلتُ ذلك من أحد العلماء المجتهدين.

البَون من القرآن الكريم

إن الاستفهام البادئ بـ أف أو بـ أم أو بـ أم والمتبوع بـ (مَن) كما هو الحال في (أفمَن، أو مَن، أم مَن) استفهام إنكاري فالقرآن الكريم يستنكر بصيغة الاستفهام بل ويدل على عدم إمكان تحقق ذلك في الواقع الخارجي ومن جهة الاستواء وإن تقمص ذلك أناس أو لَبَّسوا على الناس ذلك فهو في الواقع لا يمكن ولا وجود له، بل أصلاً وأساساً لا يستقيم مع العقل والفطرة، وأدل دليل على أنه لا يستقيم مع العقل والفطرة أنك ترى المُلَبِّس على الناس يحاول أن يُظهر الفاقد لأدنى درجات الدرجة الدنيا واجدا لأعلى درجات الدرجة العليا فمثلاً يحاول هذا المُلَبِّس أن يُظهر هذا الفاقد لأدنى درجات الدرجة الدنيا من الدين والإسلام وهو داهية في العرب أو لا يعرف إرث الجدة أو لا يعرف آية التيمم أو سيقيم الحد على المجنونة وهذه من أدنى الأمور في الدين والإسلام بأنه واجد لأعلى درجات الدرجة العليا من الدين والإسلام وهو أمير المؤمنين أو كاتب الوحي أو مُبَشَر بالجنة، والعكس بالعكس يُلَبِّسون على الناس بأن أشرف الخلق صلى الله تعالى عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً بأن به جِنة أو هو ساحر أو كذاب أو كاهن، تَنَزَّه عن ذلك صلى الله عليه وآله صلى الله عليه وآله صلى الله عليه وآله، ويُلَبِّسون على الناس بأن سيد الوصيين وإمام المتقين لا يغتسل من

الجنابة أو أنه لا يصلي أصلاً حتى تعجَّب من تعجَّب عندما سمع بأن أمير المؤمنين عليه السلام قد قُتل في المحراب وقال وهل علي يصلي؟ وغير ذلك من تلبيس الذين لا يرون الله تعالى نَصب أعينهم ولا يرجون لقائه ولا يرجون الدار الآخرة (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)[1]، وهكذا يفعل المُلَبِّسون على بسطاء الناس يجعلون المُحقَ مُبطلا والمُبطلَ مُحقا، أو أن هذا الشخص مجتهدٌ أو مرجعٌ ويُلَبِّسون على الناس بأنه صاحب كرامات ومقامات وأنه يلتقي بالإمام الحجة المهدي المنتظر عَجَّل الله تعالى فَرَجَه الشريف وله من المكاشفات والإخبار بالمغيبات وهكذا من الأمور التي تنطلي في سوق السُذج والبسطاء وبعض النساء الضعيفات القاصرات، وما ذلك اللجوء إلى مثل هذه الأمور إلا من العجز والضعف عن الوصول إلى مثل هذه المراتب والدرجات والمقامات والمناصب الإلهية كالرسالة والنبوة والإمامة والوِصاية وخلافة الرسول صلى الله عليه وآله، أو الدينية كالاجتهاد والمرجعية، وبما أن غير المؤهل أو المُمَهِد له فاقد للقابلية والأهلية فمن الطبيعي أن يكون فاقداً للبرهان والإثبات والدليل عليها فيلجأ إلى ما يوهم به البسطاء بما هو شبيه بالحق والبرهان وشبيه بالحق والدليل عليها، والبسيط الساذج من الناس يحسب (ما ليس بعلة علة، وما ليس بنتيجة لأفكاره

([1]) سورة القصص آية ٨٣.

نتيجة، وما ليس ببرهان برهانا، وقد يعتقد بأمر فاسد أو صحيح من مقدمات فاسدة....) – كما عَبَّر بذلك العلامة الشيخ المظفر رحمه الله تعالى في كتابه المشهور المنطق [1] – كالأحلام والمكاشفات والإخبار بالمغيبات – رغم أن ذلك متسنى حتى للشياطين _ وادّعاء اللقاء بالإمام الحجة المهدي المنتظر عَجَّل الله تعالى فَرَجَه الشريف لقاءً خاصاً وأخذ الأحكام منه وإيصال الأسئلة إليه وهذا ليس هو إلا النيابة الخاصة، وإلا فمجرد رؤية الإمام المهدي الحجة المنتظر عَجَّل الله تعالى فَرَجَه الشريف ومحض اللقاء والتشرف بلقائه ليس من ادّعاء النيابة الخاصة، لأن محض اللقاء والتشرف بالرؤية المحضة من غير ادعاء الاتصال المباشر في أي وقت هو أمر ممكن ولا شبهة فيه ولا مرية تعتريه ويكفيك في ذلك أن الروايات الشريفة لم تنفِ إمكان محض الرؤية واللقاء، بل وعلى العكس من ذلك إن الروايات الشريفة دلت وأثبتت الانتفاع به في زمن غيبته كما في الرواية عن جابر الجعفي عن جابر الأنصاري أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله هل ينتفع الشيعة بالقائم عليه السلام في غيبته؟

(١) المنطق؛ العلامة الشيخ محمد رضا المظفر؛ المدخل؛ تحت عنوان جانبي: الحاجة إلى المنطق.

فقال صلى الله عليه وآله: (إي والذي بعثني بالنبوة إنهم لينتفعون به، ويستضيئون بنور ولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن جللها السحاب)[1]

وما من شك أن تكون تسديداته وألطافه عليه السلام بالعلماء والمؤمنين مصداقاً من مصاديق الانتفاع، ومن جهة أخرى إنّ تراكم وتزايد عدد العلماء والمؤمنين الورعين الأتقياء الذين قد عُرفوا بالصدق والأمانة والوثاقة الذين التقوا به عليه السلام في زمن الغيبة الكبرى قد أوصل احتمال إمكان رؤيته إلى حد القطع واليقين.

وبعد ذلك نعود إلى أصل كلامنا عن البَون في القرآن الكريم ونذكر الآيات في ذلك:

١- قوله تعالى: (أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ كَمَن بَاء بِسَخْطٍ مِّنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ). [2]

٢- قوله تعالى: (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ). [3]

---

(١) بحار الأنوار، ج٥٢، ص٩٣.

(٢) سورة آل عمران آية ١٦٢.

(٣) سورة التوبة آية ١٠٩.

٣- قوله تعالى: (قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ).[١]

٤- قوله تعالى: (أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ). [٢]

٥- قوله تعالى: (أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ). [٣]

٦- قوله تعالى: (أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لاَقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ). [٤]

٧- قوله تعالى: (أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لَّا يَسْتَوُونَ). [٥]

٨- قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ). [٦]

---

(١) سورة يونس آية ٣٥.

(٢) سورة الرعد آية ١٩.

(٣) سورة النحل آية ١٧.

(٤) سورة القصص آية ٦١.

(٥) سورة السجدة آية ١٨.

(٦) سورة فصلت آية ٤٠.

٩- قوله تعالى: (أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ). (١)

١٠- قوله تعالى: (أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ). (٢)

١١- قوله تعالى: (أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ). (٣)

١٢- قوله تعالى: (فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ). (٤)

١٣- قوله تعالى: (أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ). (٥)

١٤- قوله تعالى: (... قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ...). (٦)

---

(١) سورة محمد صلى الله عليه وآله آية ١٤.

(٢) سورة الملك آية ٢٢.

(٣) سورة القلم آية ٣٥.

(٤) سورة آل عمران آية ٣٦.

(٥) سورة الأنعام آية ١٢٢.

(٦) سورة البقرة آية ٦١.

١٥- قوله تعالى: (فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ). [١]

(١) سورة الصافات آية ١١.

* - أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ عَنْ عَبَّادِ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِيه عَنْ سَدِيرٍ قَالَ كُنْتُ أَنَا وأَبُو بَصِيرٍ ويَحْيَى الْبَزَّازُ ودَاوُدُ بْنُ كَثِيرٍ فِي مَجْلِسِ أَبِي عَبْدِ اللَّه ع إِذْ خَرَجَ إِلَيْنَا وهُوَ مُغْضَبٌ فَلَمَّا أَخَذَ مَجْلِسَه قَالَ يَا عَجَباً لأَقْوَامٍ يَزْعُمُونَ أَنَّا نَعْلَمُ الْغَيْبَ مَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّه عَزَّ وجَلَّ لَقَدْ هَمَمْتُ بِضَرْبِ جَارِيَتِي فُلَانَةَ فَهَرَبَتْ مِنِّي فَمَا عَلِمْتُ فِي أَيِّ بُيُوتِ الدَّارِ هِيَ قَالَ سَدِيرٌ فَلَمَّا أَنْ قَامَ مِنْ مَجْلِسِه وصَارَ فِي مَنْزِلِه دَخَلْتُ أَنَا وأَبُو بَصِيرٍ ومُيَسِّرٌ وقُلْنَا لَه جُعِلْنَا فِدَاكَ سَمِعْنَاكَ وأَنْتَ تَقُولُ كَذَا وكَذَا فِي أَمْرِ جَارِيَتِكَ ونَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّكَ تَعْلَمُ عِلْماً كَثِيراً ولَا نَنْسُبُكَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ قَالَ فَقَالَ يَا سَدِيرُ أَلَمْ تَقْرَأِ الْقُرْآنَ قُلْتُ بَلَى قَالَ فَهَلْ وَجَدْتَ فِيمَا قَرَأْتَ مِنْ كِتَابِ اللَّه عَزَّ وجَلَّ: (قالَ الَّذِي عِنْدَه عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ أَنَا آتِيكَ بِه قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ)

قَالَ قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ قَدْ قَرَأْتُه قَالَ فَهَلْ عَرَفْتَ الرَّجُلَ وهَلْ عَلِمْتَ مَا كَانَ عِنْدَه مِنْ عِلْمِ الْكِتَابِ قَالَ قُلْتُ أَخْبِرْنِي بِه قَالَ قَدْرُ قَطْرَةٍ مِنَ الْمَاءِ فِي الْبَحْرِ الأَخْضَرِ فَمَا يَكُونُ ذَلِكَ مِنْ عِلْمِ الْكِتَابِ - قَالَ قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ مَا أَقَلَّ هَذَا فَقَالَ يَا سَدِيرُ مَا أَكْثَرَ هَذَا أَنْ يَنْسُبَه اللَّه عَزَّ وجَلَّ إِلَى الْعِلْمِ الَّذِي أُخْبِرُكَ بِه يَا سَدِيرُ فَهَلْ وَجَدْتَ فِيمَا قَرَأْتَ مِنْ كِتَابِ اللَّه عَزَّ وجَلَّ أَيْضاً : * (قُلْ كَفى بِالله شَهِيداً بَيْنِي وبَيْنَكُمْ ومَنْ عِنْدَه عِلْمُ الْكِتابِ)

قَالَ قُلْتُ قَدْ قَرَأْتُه جُعِلْتُ فِدَاكَ قَالَ أَفَمَنْ عِنْدَه عِلْمُ الْكِتَابِ كُلُّه أَفْهَمُ أَمْ مَنْ عِنْدَه عِلْمُ الْكِتَابِ بَعْضُه قُلْتُ لَا بَلْ مَنْ عِنْدَه عِلْمُ الْكِتَابِ كُلُّه قَالَ فَأَوْمَأَ بِيَدِه إِلَى صَدْرِه وقَالَ عِلْمُ الْكِتَابِ واللَّه كُلُّه عِنْدَنَا عِلْمُ الْكِتَابِ واللَّه كُلُّه عِنْدَنَا. (١)

(١) الكافي؛ ج١؛ ص ٢٥٧؛ كتاب الحجة؛ باب نادر في ذكر الغيب؛ حديث٣.

ثمرة برهان البَون

أخي القارئ الكريم إن هذه السطور والحروف ما كُتبت إلا من أجل تنوير القلوب والعقول ولم يكن المقصود فيها أحداً معيناً بذاته والله تعالى هو العالم بما وراء ذلك، وهي تحكي برهانا بسيطاً قد غُفل عنه أو تغوفل عنه في يومنا الحاضر، ومن قبل يومنا ولكنا رأينا هذه الغفلة في زمننا هذا قد اتسعت دائرتها، فإن الأمر كما قرأت عن البَون فإننا قد تعرَّضنا للبَون بما هو بَون والبَون في الدين والبَون في المذهب والبَون في غير ذلك من المناصب والتخصصات الدنيوية أو الدراسات الاعتيادية وغيرها، فالمرجو من الأخ القارئ الكريم القراءة بتدبّر والالتفات إلى ما كُتب بما هو فكرة وبرهان وليس النظر من جهة أنه رد على جهة معينة كلا ليس الأمر كذلك. فإن التفت نجوتَ لأن الالتفات بما هو التفات كافٍ في النجاة من الشتات، وإن شاء الله تعالى لنا وقفة أخرى عن الالتفات نسأل الله تعالى أن يوفقنا لذلك، فعلى هذا فإن برهان البَون مع الأخ القارئ الكريم لا يخلو من أمرين لا ثالث لهما، فإما أن يكون القارئ الكريم ملتفتاً له أو يكون غير ملتفتٍ له، فإن كان ملتفتاً فهو إما أن يكون ملتزما به عملياً أو غير ملتزمٍ به عملياً، فإن كان ملتزماً به عملياً فليشكر الله تعالى على نعمة الهداية بالالتفات، وإن لم يكن ملتزماً به عملياً فليسعَ جاهداً أن يكون ملتزماً به عملياً طالباً الالتزام راجياً من الله تعالى السداد والتوفيق بكثرة الصلاة والدعاء والاستغفار وصلاة الليل والاعتراف بحقيقة العبودية ويسأله تعالى بأن يكون ملتزماً بما عرف من برهان البَون، وإن لم يكن ملتفتاً أصلاً نقول له ها قد التفتّ الآن فالتزم وأسأل الله تعالى لك التوفيق بالالتزام ودعك من سياسة التبرير للنفس فإن

النفس قد جُبلت على الهوى والأمر بالسوء كما قرر ذلك العلماء قال تعالى (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ). [1]، وقال تعالى (فَأَمَّا مَنْ طَغَى*وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا*فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى*وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى*فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى). [2]

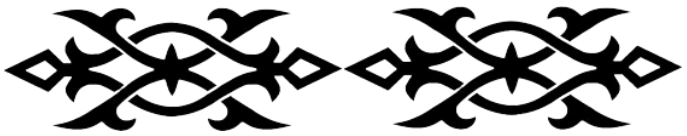

(1) سورة يوسف آية ٣٥.
(2) سورة النازعات آية ٢٧-٤١.

خاتمة

ختاماً نسأل الله تعالى التوفيق والسداد للخير والرشاد بحق خير العباد السادات الأشراف محمد وآله الطيبين الطاهرين وأهدي ثواب هذه السطور إلى أرواح المراجع الكرام والعلماء العظام وإلى روح والدتي خادمة سيد الشهداء عليه السلام المرحومة أم جواد الموسى ألبسها الله تعالى من خِلع الكرامة والعز، وإلى روح مَن فقدناه في هذه الأيام صديقنا وحبيبنا وعزيزنا الشاب المؤمن التقي حسن ابن الشيخ أمين البقشي رحمه الله تعالى رحمة الأبرار وجمع بينه وبين محمد وآله الأطهار وإلى أرواح كافة المؤمنين والمؤمنات لا سيما من لا وارث لهم ولا ذاكر.

وآخر دعوانا أن الحمد لله تعالى رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

تم بحمد الله تعالى في يوم الثلاثاء ٢٤ صفر ١٤٣٦هـ

الفهرس

الموضوع الصفحة

المقدمة..... ٨

تعريف البرهان..... ١٣

معنى البَون..... ١٩

صياغة برهان البَون..... ٢٥

أمثلة لبرهان البَون..... ٣٧

البَون من القرآن الكريم..... ٥٢

البَون من الروايات الشريفة والأخبار..... ٥٩

ثمرة برهان البَون..... ٦١

خاتمة..... ٦٣